

التجديد في الاستدلال على النبوات: الإعجاز العلمي نموذجا

Renewal in the Argumentation for Prophethood: Scientific Miracles as a Modelمحمد مبدوعة¹، ربيع شمالال²

مخبر الدراسات الشرعية

¹ جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان (الجزائر)، mebdoua.mohamed@univ-tlemcen.dz² جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان (الجزائر)، rabie.cheml@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/04 تاريخ القبول: 2025/12/16 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

ظهر في العصر الحديث احتفاء كبير بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة ومع هذا الكم الكبير نسجل قلة في الدراسات المتعلقة بضبط المنهج الاستدلالي، ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على المنهجية الصحيحة في الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوات مجتنبا المبالغات الطافحة في هذا الميدان، فمهد بدفع الهوة المفتعلة بين الدين والعلم التجريبي وثنى ببيان الموقف الصحيح من التفسير العلمي ثم تطرق للضوابط التي ينبغي مراعاتها عند الاستدلال بهذا اللون، كما أنه يبرز سلبيات بعض الدراسات في تقرير النبوة اعتمادا على الإعجاز العلمي ويجلي التقرير الصحيح، الذي يبرز في مجالين، الأول في دلالة الإعجاز على صحة النبوة من جهة الإيجاب (توافق الحقائق العلمية مع ما جاء في القرآن والسنة)، ومن جهة السلب (لم تنهض حقيقة علمية بتكذيب القرآن أو السنة)، والثاني في تقريب الحقائق العقدية ودفع الشبهات عنها، وعزز كل ذلك بأمثلة تطبيقية ليظهر البناء الصحيح للفرع على الأصل.

كلمات مفتاحية: الاستدلال، الإعجاز العلمي، العلم التجريبي، التفسير العلمي، النبوات.

Abstract:

In the modern era, there has been a significant celebration of the scientific miracles in the Qur'an and Sunnah. However, despite the abundance of such material, there is a noticeable lack of studies concerned with establishing a sound methodological framework for inference. This research aims to fill that gap by shedding light on the correct methodology for using scientific miracles as evidence for prophethood, while avoiding the widespread exaggerations in this field.

The study begins by addressing the artificial divide between religion and empirical science, then proceeds to clarify the correct stance on scientific interpretation of the Qur'an. It outlines the essential guidelines that must be observed when employing this type of evidence. Furthermore, it highlights the shortcomings of some studies that attempt to establish prophethood based solely on scientific miracles and explains the correct approach.

This proper methodology is evident in two key areas: first, in affirming the truth of prophethood through positive evidence (i.e., the agreement of established scientific facts with the Qur'an and Sunnah) and negative evidence (i.e., the absence of any scientific fact that contradicts the Qur'an or Sunnah); and second, in bringing theological truths closer to understanding and refuting the doubts surrounding them. The study supports its findings with practical examples that illustrate the proper derivation of conclusions based on foundational principles.

Keywords: Inference,Scientific Miracles,Empirical Science,Scientific Interpretation,Prophethood.

*المؤلف المرسل: محمد مبدوعة

1. مقدمة

لقد أتاح التقدم الذي أحرزه العلم التجريبي الحديث للإنسان الاطلاع على كمٍ كبير من الحقائق الكونية، سواء في أفاق الكون أو في أعماق النفس البشرية، وعند مقارنة هذه الحقائق بالمضامين العلمية الواردة في الكتب السماوية السابقة، كالتوراة والإنجيل، تبين وجود تعارضات جوهرية ناتجة عن ما اعتراها من تحريف، في المقابل أظهرت الدراسات المقارنة بين هذه الحقائق المكتشفة ومضامين القرآن الكريم والسنة النبوية توافقاً لافتاً، حيث لم تُسجل أية حالة تصادم بين النص القرآني والمعطيات العلمية الموثقة، بل إن كثيراً من نصوص القرآن سبقت الاكتشافات العلمية في الإشارة إلى تلك الحقائق الكونية، وقد دفع هذا التوافق العديد من علماء الإسلام إلى توظيف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة كأداة للاستدلال على صدق الإيمان بوجه عام، وعلى إثبات النبوة بشكل خاص.

الأهمية: تكمن أهمية البحث في أنه يضبط أسس المنهج الجديد في علم العقيدة والذي يقوم على نمط الاستدلال القرآني ويعتمد على أحدث منجزات العلوم التجريبية.

الهدف من البحث: إبراز أهمية قواعد وحقائق العلوم الكونية في هذا العصر وإثبات إمكانية استخدامها في الاستدلال على العقيدة والنبوات بعيداً عن الانفلات الذي يجعل القرآن كأنه كتاب علم من العلوم الحديثة.

الإشكالية: ما قيمة هذا المنهج الجديد وما أسسه ومأمدي قربه من منهج القرآن الكريم في الاستدلال على النبوات وكيف يكون تطبيقه الأمثل في واقعنا المعاصر؟

ولمعالجة الإشكالية السابقة اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي وأدرت البحث على الخطة التالية:

1. مقدمة.

2. العلاقة بين الوحي والعلم.

1.2 الجفوة المفتعلة بين الوحي والعلم.

2.2 حكم التفسير العلمي.

3.2 ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة.

3. تأصيل الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوات.

1.3 الاستدلال بالإعجاز العلمي على صحة النبوة.

2.3 الاستدلال بالإعجاز العلمي على تقريب الحقائق العقيدية أورد الشبهات عنها.

3.3 نماذج تطبيقية للاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة.

2. العلاقة بين الوحي والعلم:

1.2 الجفوة المفتعلة بين الوحي والعلم:

نجح العلم التجريبي نجاحا كبيرا وأقنع الناس بقيمته وجذبهم إلى رحابه، وأظهر الأخطاء الكبيرة التي حوتها نصوص التوراة والإنجيل، فكان كأنه العلم وما سواه ليس بشيء، ثم بفعل عوامل الاحتكاك مع الغرب، ظهرت طائفة من بني جلدتنا حاولت استنساخ هذه الظاهرة بعجزها وبجرها إلى العالم الإسلامي في نصف القرن السابع عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي، متناسية أن أسباب النزاع عندهم لا نسمع لها ركزا عندنا، فهي هو المنهج العلمي القرآني قائم على الدعوة إلى الاستدلال والاعتبار ومعرفة الله عن طريق التفكير في ملكوته والتدبر في مختلف خلقه، إنه منهج يشق به الإنسان عباب البحث والتدقيق والملاحظة والتجريب كما أنه هيا المناخ لكل ذلك بمحاربة الخرافات والأساطير ونعى على الكفار تعطيل حواسهم وإهدار نعمة العقل التي ميزهم الله بها عن الحيوان.

إن تصورهم هذا مبني على أمرين، أحدهما: اختزال العلم في العلم التجريبي والآخر: التشغيب بمسائل يدعى فيها التعارض بين الدين والعلم التجريبي.

لا يمكن إنكار ماسوى العلم التجريبي وذلكم أن الوجود ليس مقصورا على المشاهدة، إضافة إلى أننا لا نستطيع أن نشاهد كل الحقائق في عالم الشهادة أو عالم الغيب، بل غاية ما نستطيعه هو استنباط الحقائق الكامنة بدراسة الأشياء الظاهرة وهذا بطريقتين:

الضرورة المنطقية اللازمة لتفسير الوقائع المشاهدة: وفي ذلك يقول الدكتور جون كمني: نحن نعتقد بوجود أجسام أصغر من الذرة لا لأننا رأيناها ولو بشكل غير مباشر ولكن لأن افتراض وجودها يشكل أسهل أرضية يمكن لها تعليل الوقائع المشاهدة (نعمان، 2004، صفحة 198).

آثار غيبيات المادة وغيبيات الغيب: قال الأستاذ جيمس كولمان: إننا لا نستطيع رؤية الذرة فضلا عن الإلكترون، ولكن ليس من الضروري أن نرى الإلكترون فعلا وهو يدور لكي نحدد شكل مساره إذ أنه لحسن الحظ ينتج عن مساره آثار معينة يمكن اختبارها تجريبيا (نعمان، 2004، صفحة 198).

إن للحقائق العلمية طرق إثبات أخرى غير التجربة، منها الاستدلال العقلي بمختلف طرقه والخبر الصادق سواء أكان إنسانياً يعتمد عليه الناس في نقل الأخبار والمعارف المختلفة بعضهم عن بعض أو كان عن طريق الوحي الرباني (القرني، 2008، صفحة 86).

وما ادعي من تعارض في الكثير من المسائل إنما هو تعارض متوهم يرجع أساساً إلى فهم الإنسان للأدلة ومقتضياتها أو إلى صحة الدليل الشرعي وثبوته من حيث الأصل فقد يحصل الكذب في الأخبار كما يجوز الخطأ في التجارب والخلل في التفكير وهذا يحملنا على معالجة موضع الخلل وليس جحد الدليل الصحيح، فإنه لا تعارض بين الدين الحق والعلم التجريبي الصحيح وإن جاء شيء من العلم مدعى فيه التعارض مع الدين فالأمر لا يخلو من الأحوال الثلاثة التالية:

إما أن يكونا قطعيين أو يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً أو يكونا ظنيين، فأما القطعيان فيستحيل تعارضهما وأما إن جاء أحدهما قطعياً قدم لأنه قطعي وأما إن كانا ظنيين انتقلنا إلى الترجيح بينهما والكلام هنا ليس عن الدين أو العلم التجريبي وإنما هو عن أدلة ومسائل توجد فيهما وإلا فالمقدم هنا هو الدين مطلقاً وهو الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (الأسمرى، 2012، الصفحات 1122-1224).

2.2 حكم التفسير العلمي:

ما لبثت أوروبا أن انفلتت من الدين بعد النجاح الكبير الذي حققه العلم التجريبي على الكنيسة ومع تفاقم اتصال المسلمين بالفكر الأوروبي، انتقلت تلك الدعوى بقضها وقضيضها إلى العالم الإسلامي تحت تأثير التبعية، منادية أن الدين هو غل التقدم مما حدا بطائفة من أهل العلم لتفنيد هذا الزعم مدعين قولهم بتفسير آيات من القرآن بما يتناسب مع هذا اللون من العلم وظهر في مقابلهم علماء آخرون رأوا أن التفسير العلمي غير صحيح.

فمن العلماء الذين ذهبوا إلى المنع على تفاوت في الرفض، محمد حسين الذهبي (الذهبي، د.ت، صفحة 359/2)، اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية (السعودية، د.ت، صفحة 180/4)، ابن عثيمين (بن عثيمين، 1413، صفحة 28/26) وآخرون.

ومن أدلتهم أن القرآن أنزل لهداية الناس وإرشادهم في أمور عقائدهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ولم يقصد إلى تقرير النظريات العلمية وبيان دقائق الخلق وأسباب الكائنات (شلي، 1985، صفحة 33).

تتسم الحقائق في القرآن بالاستقرار بينما تخضع النظريات العلمية إلى التغير المستمر لذلك يعرض التفسير العلمي القرآن إلى البلبلة ويفضي إلى النيل من قدسيته (شلي، 1985، صفحة 38).

إن اتباع هذا الأسلوب يؤدي إلى التكلف في تفسير آيات القرآن وتحميل الألفاظ ما لا تحتمله بضروب من التأويل تتنافى مع الإعجاز ولا يسيغها الذوق السليم (الباحسين، 1981، صفحة 123).

نوقش الدليل الأول بأن كون القرآن رسالة هداية لا يقتضي أن لا تبحث الآيات الكونية أو العلمية ذلك أن الله سبحانه برهن على وجوده وصفاته بلفت العقول إلى آياته في الأرض وفي السماء وفيما بينهما وإلى سنته في نواميسه في خلقه (الباحسين، 1981، صفحة 127).

ومن العلماء الذين أيدوا التفسير العلمي محمود شكري الألوسي، عبد الحميد بن باديس (الرومي، 1997، صفحة 569/2)، محمد عبد الله دراز (دراز، 1981، الصفحات 175 - 176) في آخرين.

ومن أدلتهم أن الله تعالى ذكر في أكثر من موضع شمول آياته لكل شيء قال تعالى (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام/38)، وقال (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل/89)، ومن مقتضى هذا التبيين وعدم التفريط أن تكون الحقائق العلمية والنظريات المستحدثة داخلة فيما بينه ومالم يفرط في ذكره (شليبي، 1985، صفحة 32).

ثم إن القرآن ذكر حقائق لم تكن معروفة زمن نزوله ثم اكتشفها العلم الحديث واتفق فيها مع مآذره بشأنها إضافة إلى عدم ذكر نظريات خاطئة كانت سائدة زمن نزوله (شليبي، 1985، صفحة 50).

وقالوا: إن السلف فهموا هذا المعنى وأدركوا احتواء القرآن على جميع العلوم حتى في عهد الصحابة، قال ابن مسعود - رضي الله عنه - (من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين)، قال البيهقي - رحمه الله - يعني أصول العلم (الباحسين، 1981، صفحة 123).

توسط فهد الرومي بين القولين وذكر شروطا للتفسير العلمي، رأى أنها تدفع المفاسد التي ذكرها المعترضون، أهمها:

أن لا تنطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز.

ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه لئلا يلزم تجهيل السلف.

أن تكون الحقائق العلمية ثابتة لا تقبل الشك مع فهم النص فهما سليما خاليا من المؤثرات الخارجية أو الانحراف به لموافقة تلك الحقيقة العلمية (الرومي، 1997، صفحة 600/2).

3.2 ضوابط الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوات:

حتى يتحقق المقصود من الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة، كان لابد من وضع ضوابط للتعامل مع نصوص الوحي سأقتصر على أهمها:

ثبوت الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويخرج بهذا القيد الأحاديث الضعيفة وما صدر عن العلماء من اجتهادات في تفسير الأحاديث الشريفة (إبراهيم، 2021، صفحة 169).

ومن الأمثلة على ذلك حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح) (الألباني، 1992، صفحة 53/7)، قال عنه

زغلول النجار: (وعلى الرغم من وجود ضعف في إسناد الحديث إلا أن به سبقا علميا معجزا)(النجار، 2012، صفحة 140).

أن يكون النص واضح المعنى مفهوم الدلالة لدى جميع المخاطبين منذ صدوره(العريفي، 2014، صفحة 66).

فهم المعنى من جهة اللفظ فمعاني الكلمات والأسلوب البياني كلها تؤخذ من عرف العرب ولا يصح العدول عنها لمصطلحات حادثة كأسماء الآلات والمصطلحات والمكتشفات العلمية وغيرها(إبراهيم، 2021، صفحة 170).

سلامة منهج الاستدلال عند ربط الحقيقة العلمية بالمسائل العقدية فلا يقحم إقحاما إن التأكد من صحة منهج الاستدلال عند ربط الحقيقة العلمية بالنص أمر في غاية الأهمية بل هو مجال تحقيق المناط في كثير من القضايا التي تكون صحيحة من جهة الواقع لكن الخلاف في أنها مرادة من النص من عدمه(الطيبار، 1433، صفحة 134).

أن يدل النص على الحقيقة العلمية بأحد أنواع الدلالة، (المطابقة، التضمن، الالتزام)، فلا تلوى أعناق النصوص ليا ليثبت انطباقها مع نظرية علمية أو فرض تجريبي أو ما شاكل ذلك(الشهري، 2019، صفحة 555).

مراعاة السياق القرآني للآية أو الحديث المتعلق بالقضايا الكونية فلا يتم اجتزاء اللفظة القرآنية من سياقها أو الحديث ومن ثم تضاف عليها تفاصيل من العلوم التجريبية ونظرياتها لم تشر لها الآية أو الحديث(الشهري، 2019، صفحة 553).

إجماع المختصين على كون الاكتشاف العلمي المدعى وقوع الإعجاز العلمي به حقيقة قطعية نهائية تمتنع إعادة النظر فيها واشتهار ذلك بحيث تنتفي شبهة القول عليهم(العريفي، 2014، صفحة 67).

3. تأصيل الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوات:

1.3 الاستدلال بالإعجاز العلمي على صحة النبوة:

جاء القرآن حافلا بعدة دلائل على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتنوعت ما بين حجج سمعية وعقلية وواقعية ولما كان - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ورسولا إلى جميع الثقلين كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها وفي كل عصر ينكشف من دلائل صدق رسالته ما عليه يؤمن من آمن ومن هذا ما قام به أهل الإعجاز العلمي حيث رأوا أنه من أظهر الدلائل لإثبات النبوة في العصر الحديث(الشهري، 2019، صفحة 477).

وقد سلكوا عدة طرق منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير صحيح كالأوجه التالية:

أنهم استدلو بالآيات التي سيقَّت لإثبات الربوبية لإثبات النبوة فيجعلون الآيات التي تتحدث عن مخلوقات الله العلوية والسفلية وتدبيره لها وكونها تسير في تنظيم محكم بديع دليلا على النبوة وهذا مخالف لطريقة القرآن

فإن القرآن إذا ذكر مظاهر ربوبية الله في مخلوقاته فإنه يستدل بها على تفرد الله بالملك والتصرف والتدبير وأنه المستحق للعبادة القادر على بعث الأموات ولم يذكرها ليستدل بها على النبوة إلا من باب اللزوم (الشهري، 2019، صفحة 478).

بعض الأمثلة التي يذكرها أصحاب الإعجاز العلمي لم يتفرد بالإخبار بها النبي - صلى الله عليه وسلم - بل هي معروفة في الجاهلية قبل الإسلام وبعضها معروف في الجاهلية قبل الإسلام وبعضها معروف عند أهل الكتاب والقرآن جاء بتصحيح معلومة أو إضافة تفصيل فمثلاً مراحل خلق الإنسان معلومة في الجاهلية فهي هو أمية بن أبي الصلت، يذكر شيئاً منها حين قال: أمرت بالإنسان من نطفة...تخلق في البطن بعد الرحم (الشهري، 2019، صفحة 479).

أنهم جعلوا شرح الآيات الكونية وما يذكرونه من تفاصيل دلت عليها المكتشفات داخلية في الآية ومراعاة مباشرة منها ثم جعلوا ذلك من الإعجاز الناهض بإثبات النبوة وهم بذلك لم ينتهوا إلى أن دلالة هذه المعلومات التفصيلية المكتشفة في بعض المخلوقات على الربوبية جارية على كل حال ولو كانت بمعزل عن النص القرآني وأن النص إنما نبه على مبتدأ هذه الدلالة خصوصاً دون تفصيلاتها المكتشفة (العريفي، 2014، الصفحات 39 - 40).

أنهم جعلوا الإعجاز هو المسلك الوحيد في هذا العصر لإثبات النبوة وإقامة الحجة على الكفار وأننا إذا لم نستطع أن نظهر هذه الوسيلة فلن نستطيع أن نخاطبهم، إن حصر إثبات النبوة في الإعجاز العلمي يشبه صنيع المتكلمين الذين حصروا دلائل النبوة في المعجزات والمتتبع للكتاب والسنة يجدها لا تختص بالمعجزة ولهذا استدلت خديجة على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - بمكارم أخلاقه ومحاسن شيمه وكذلك استدلت هرقل بصفات النبي - صلى الله عليه وسلم - وشمائله وقد كاد أن يعلن إسلامه لولا صدق قومه له (الشهري، 2019، الصفحات 481 - 482).

إن المنهج الصحيح في الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة يتمثل في مقامين:

المقام الأول: مقام الإثبات أو المقام الإيجابي ويتطلب أن تكون الحقيقة العلمية المكتشفة مرادة بخصوصها من الآية لا بمجرد الاحتمال وستأتي أمثلة تطبيقية في المطلب الثالث من هذا المبحث.

المقام الثاني: مقام النفي أو المقام السلبي ومضمونه الاستدلال بمجموع القرآن مع المكتشفات العلمية سلبي بمعنى أنه لم تنهض حقيقة علمية واحدة مكتشفة بتكذيب صريح القرآن أو السنة فهو بمعنى قوله تعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [البسَاء: 82]. (العريفي، 2014، صفحة 59).

2.3 الاستدلال بالإعجاز العلمي على تقريب الحقائق العقيدية أورد الشبهات عنها:

مع تنامي الدعوات التي سجت نفسها في سجن المادة منكراً الوحي والمعجزات بدعوى كونها خارجة عن مقتضى القوانين الطبيعية المطردة عني الباحثون المحدثون بإقامة الأدلة العلمية على النبوة للدلالة على إمكان النبوة من جهة وتقريبها للعقول من جهة أخرى.

إن الإفادة من المكتشفات والمخترعات الحديثة في مجال تقريب وقوع النبوات وعدم استحالتها عقلا يجب أن يكون من باب قياس الأولى (ابن أبي العز، 1418، صفحة 75/1)، وهذا ما فعله أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- حين استدل بقياس الأولى على المعجزات في حادثة الإسراء فعن الزهري أن المشركين ذهبوا إلى أبي بكر فقالوا: إن صاحبك يقول: إنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة ورجع قال: أو قد قال ذلك قالوا: نعم قال فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: تصدقه في أن ذهب إلى بيت المقدس ورجع ؟ قال نعم أصدقه بما هو أبعد من ذلك في خبر السماء غدوة وعشية قال فسعي الصديق لذلك (بن صالح، 2015، الصفحات 152 - 153).

ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء في تقريب وحي الله إلى رسله ما يأتي:

أعجوبة التنويم المغناطيسي فقد أصبح الرجل القوي الإرادة يستطيع أن يتسلط بقوة إرادته على من هو أضعف منه حتى يجعله ينام بأمره نوما عميقا لا يشعر فيه بوخز الإبر وهنالك يكون رهين إشارته وتنمجي إرادته... وإذا كان فعل هذا الإنسان بالإنسان فما ظنك بمن هو أشد منه قوة (دراز، النبأ العظيم، 2018، صفحة 73).

إن الاستدلال بالتنويم المغناطيسي على إمكانية الوحي غير لائق لأن التنويم المغناطيسي لا يزال محل جدل ولم يصل بعد إلى أن يكون حقيقة علمية ومن ضوابط الاستدلال بالمكتشفات التجريبية أن تكون حقائق علمية يقينية (بن صالح، 2015، صفحة 18).

وأيضا قد اعترى التنويم المغناطيسي بعض الخزعات التي لا تتناسب بحال مع نقاء الوحي وطهارته وقداسته فدخل التنويم المغناطيسي ضروب من الشعوذة والسحر ونحو ذلك واستخدم لأغراض دنيئة (السبت، 1998، صفحة 66/1).

استطاع الكيميائيون أن يحللوا الأجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها وأن يكتفوا العناصر اللطيفة فتكون كالجامة بطبعها فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه وهو من الأرواح ذات القوة الكبيرة (رشيد رضا، 1947، صفحة 220/1).

إن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به مما يسمونه التليفون واللاسلكي والميكروفون والراديو وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحى إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك (الزرقاني، 1995، الصفحات 59/1 - 60).

استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجمد الجامد الجاهل بأصوات وبقراء وبكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه (الزرقاني، 1995، الصفحات 69/1 - 70).

3.3 نماذج تطبيقية للاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة:

وردت أحاديث كثيرة بأمور علمية دقيقة وخفية يستحيل على مخلوق زمن البعثة أن يهتدي للأسرار التي وردت فيها، إن هذا لهو من الأدلة القاطعة على أن ما أخبر به النبي- صلى الله عليه وسلم- وحي وأنه رسول رب العالمين، ومن تلکم الأمثلة:

عن ابن عمر- رضي الله -عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)(ابن ماجه، 2009، صفحة 175/5).

تعد الأمراض الجنسية من دون شك أكثر الأمراض الوبائية انتشارا في الغرب حيث قد تم التغلب على كثير من الأمراض المعدية ورغم ذلك ظهرت الأمراض الجنسية بصورة وبائية مفرقة وخطيرة، يقول مرجع مرك الطبي **merk manual** (ط13): (يزداد كل عام عدد المصابين بها وتقدر منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بالسيلان (الجونوريا) بأكثر من 250 مليون شخص سنويا كما يقدر عدد المصابين بالزهري(اسفيلس) بخمسين مليون شخص سنويا ويقدر مركز أتلانتا لمكافحة الأمراض المعدية في ولاية جورجينا بالولايات المتحدة عدد المصابين بالسيلان في و.م.أ بثلاثة ملايين شخص سنويا وعدد المصابين بالزهري بأربعمئة ألف سنويا)(علي البار، 1986، صفحة 18).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة)(البخاري، 1422، صفحة 165/6).

أوضح علم الأجنة أن الإنسان يتكون وينشأ من الشريط الأولي **primitive streak** وهو الذي يحفز الخلايا على الانقسام والتخصص والتمايز وعلى إثره مباشرة يظهر الجهاز العصبي في صورته الأولية ثم بقية الأعضاء ويندثر هذا الشريط الأولي إلا جزءا يسيرا منه يبقى في المنطقة العصبية التي يتكون فيها عجب الذنب (عظم العصعص) ومن أبرز وجوه الإعجاز في الحديث أن هذا الشريط الأولي لا يتعرض للفناء مهما تعرض للظروف وقد حفظه الله- عز وجل- دليلا على صدق نبينا- صلى الله عليه وسلم-(الصاوي والمصلح، 2008، صفحة 74).

عن سعيد بن زيد- رضي الله عنه- قال: قال - رسول الله صلى الله عليه وسلم- (الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين)(البخاري، 1422، صفحة 18/6).

جرب الدكتور عبد الباسط سيد أخذ الماء الناتج منها بعد تقطيعها إلى قطع صغيرة فوجد أنه يحتوي على بيبتيديات الزنك وهي مضاد حيوي واسع المدى ضد كل أنواع البكتيريا الموجبة الجرام أو السالبة الجرام، وقال لهذا فإن استخدامها في علاج الرمذ أكيد، كما جرب استخدام ماء الكأمة المشار إليه سابقا أي المأخوذ من تقطيعها أو شقها أو المستخلص من سلقها عند درجة لا تتجاوز 45 درجة مئوية في علاج ثلاثين شخصا ممن يعانون مرض المياه الزرقاء فوجد أن هذا الماء يعيد ضغط العين إلى حالته الطبيعية كما أنه يفتح القنوات الدمعية(سيد، 2003، صفحة 66).

4. خاتمة

لا تعارض بين الدين والعلم التجريبي وما جاء من تعارض فهو يرجع إلى صحة الدليل أو إلى فهم الإنسان للأدلة فقد يحدث الكذب في الأخبار كما يمكن أن يقع الخطأ في التجارب والزلل في التفكير.

التحقيق في مسألة تعارض الوحي والعلم التجريبي هو أن يقال: إما أن يكونا قطعيين أو أحدهما قطعي أو يكونا ظنيين فأما القطعيان فيستحيل تعارضهما وأما إن أتى أحدهما قطعياً قدم لأنه قطعي وأما إن كانا ظنيين انتقلنا إلى الترجيح بينهما.

التفسير العلمي جائز بشروط أهمها:

أن لا يغرق في المباحث العلمية إلى الدرجة التي تحجب المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز.

أن تكون الحقائق التجريبية قطعية لا يتطرق إليها الجدل أو الشك.

أن لا تحصر دلالة القرآن في المسائل العلمية.

أهم ضوابط الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوات هي:

ثبوت الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- واجتناب الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

أن لا يدعى خفاء معنى النص حين صدوره وأن دلالاته ظهرت في العصر الحديث مع تطور العلم التجريبي.

فهم المعنى من جهة اللفظ على سنن العرب في كلامها ولا يصح الارتكاز على تفريعات العلوم التجريبية وحدها وجعلها بديلاً عنه.

سلامة منهج الاستدلال عند ربط الحقيقة العلمية بالنصوص الشرعية فلا تلوى أعناق النصوص لتوافقها.

أن يدل النص على الحقيقة العلمية بأحد أنواع الدلالة (المطابقة، التضمن، الالتزام).

مراعاة السياق القرآني للآية أو الحديث.

من المسالك الغير موفقة في الاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة مايلي:

الاستدلال بالآيات التي سيقّت لإثبات الربوبية على النبوة وهي إنما ذكرت للدلالة على تفرد الله بالملك والتصرف والتدبير ولا تدل على النبوة إلا من باب اللزوم.

الاستدلال ببعض الأمثلة التي لم يتفرد النبي- صلى الله عليه وسلم- بالإخبار بها كمراحل خلق الإنسان فهي معروفة في الجاهلية وعند أهل الكتاب وإنما تميز القرآن بتصحيح معلومة أو إضافة تفصيل.

جعل الإعجاز هو المسلك الوحيد في هذا العصر لإثبات النبوة وصنيعهم هذا تحجير لواسع فدلائلها كثيرة منها دلالة شمائله وإخباره بالمغيبات ومعجزاته.

المنهج الصحيح للاستدلال بالإعجاز العلمي على النبوة يتجلى في مجالين:

المجال الأول: الاستدلال بالإعجاز العلمي على صحة النبوة وينحصر في مقامين هما:

المقام الإيجابي: وهو توافق ما جاء في القرآن والسنة مع مكتشفات العلم التجريبي.

المقام السلبي: وحاصله أنه مع تقدم العلم التجريبي لم تنهض حقيقة علمية واحدة بتكذيب صريح القرآن أو السنة.

المجال الثاني: الاستدلال بحقائق العلوم التجريبية على تقريب الحقائق العقدية ودفع الشبهات عنها ومن الأمثلة على ذلك:

تكثيف العناصر الكيميائية اللطيفة حتى تصير كالجامدة يقرب تشكّل الملك بصفة رجل يخاطب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

تسهيل الاختراعات الحديثة للاتصال بين البشر رغم بعد المسافة يدفع شبهة إنكار تبليغ الله وحيه إلى رسله.

ملء الأسطوانات بالأصوات يجلي نفث الملك في رُوع الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

من الأمثلة التطبيقية الواردة في الأحاديث النبوية والتي تنادي بأن ما أتى به الرسول - عليه الصلاة والسلام - وحي من الله ما يلي:

الربط بين انتشار الفاحشة وظهور الأمراض الجنسية التي لم تعهد قبل.

عجائب عجب الذنب.

شفاء ماء الكمأة لأمراض العين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

5. قائمة المراجع:

- خالد السبت. (1998). *مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم*. السعودية: دار ابن عفان.
- رحاب إبراهيم. (2021). الاستدلال بالعلوم التجريبية على العقيدة. *أطروحة ماجستير*. كلية الدعوة وأصول الدين، مكة: جامعة أم القرى.
- زاهر الشهري. (2019). *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*. مكة: دار طبية الخضراء.
- زغلول النجار. (2012). *الإعجاز العلمي في السنة النبوية*. مصر: دار نهضة مصر.
- سعود العريفي. (2014). *منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية على النبوة والربوبية*. السعودية: مركز تكوين.
- صالح الأسمرى. (2012). *النظريات العلمية الحديثة*. السعودية: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.
- صالح نعمان. (2004). *منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر*. أطروحة دكتوراه. كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
- عبد الباسط سيد. (2003). *التداوي بالأعشاب والطب النبوي*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية.
- عبد الجواد الصاوي، و عبد الله المصلح. (2008). *الإعجاز العلمي في القرآن والسنة*. السعودية: دار جواد.
- عبد السلام بن صالح. (2015). *علاقة الإعجاز العلمي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم*. *مجلة الدراسات الإسلامية، الرياض، الصفحات 139 - 165*.
- عبد الله القرني. (2008). *المعرفة في الاسلام*. السعودية: مركز التأصيل لدراسات والبحوث.
- علماء السعودية. (د.ت). *فتاوى اللجنة الدائمة*. الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
- علي ابن أبي العز. (1418). *شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكِر*. السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية.
- فهد الرومي. (1997). *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- محمد ابن ماجة. (2009). *سنن ابن ماجة*. بيروت: الرسالة العالمية.
- محمد بن إسماعيل البخاري. (1422). *صحيح البخاري*. بيروت: دار طوق النجاة.
- محمد بن عثيمين. (1413). *مجموع فتاوى ورسائل محمد بن عثيمين، جمع فهد السليمان*. السعودية: دار الوطن - دار الثريا.
- محمد حسين الذهبي. (د.ت). *التفسير والمفسرون*. مصر: مكتبة وهبة.
- محمد دراز. (1981). *مدخل إلى القرآن الكريم ترجمة محمد عبد العظيم مراجعة السيد البدوي*. الكويت: دار القلم.
- محمد دراز. (2018). *النبأ العظيم*. القاهرة: مركز إبصار.

- محمد رشيد رضا. (1947). *تفسير المنار*. مصر: دار المنار.
- محمد عبد العظيم الزرقاني. (1995). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- محمد علي البار. (1986). *الأمراض الجنسية*. جدة: دار المنارة.
- محمد ناصر الدين الألباني. (1992). *سلسلة الأحاديث الضعيفة*. الرياض: دار المعارف.
- مسعد الطيار. (1433). *الإعجاز العلمي إلى أين*. السعودية: دار ابن الجوزي.
- هند شلبي. (1985). *التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيقات*. تونس.
- يعقوب الباحسين. (1981). *التفسير العلمي للقرآن*. مجلة كلية التربية، البصرة، الصفحات 93 - 141.